

الرمزية الدينية للعدد سبعة قراءة لسانية أنثروبولوجية في قصة البركان أنموذجا

Religious symbolism of the number seven linguistic Anthropological reading

The volcano's story is a model

ط.د. خودة بن يمينه¹ أ.د. خديجة بصالح

Phd candidat : KHAOUA BENYAMINA

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت، cuniv-aintemouchent.dz

Centre universitaire BELHADJ Bouchaib Ain Temouchent

مخبر الخطاب التواصلية الجزائري الحديث

تاريخ القبول: 2020/04/19

تاريخ الارسال: 2020/03/15

الملخص:

تعنى الأنثروبولوجية الدينية بفهم أمثل للظاهرة الدينية وانعكاسها على المجتمع متخذة من حياة الرموز سبيلا لبلوغ مسعاها، فالرمز الديني يمثل أحد المرتكزات الهامة التي تعكس نفسية وعقيدة الإنسان، ويمكن لهذه الرموز الدينية أن تتجسد في الصور التشكيلية التي تمتاز بخصوصية توظيفها للرموز ما جعلها إحدى الموضوعات الهامة للأنثروبولوجية الدينية، خاصة وأنها أصبحت تهيمن على وسائل التواصل وتقتحم مجالات مختلفة لاسيما أدب الطفل هذا الفن المستحدث الذي يتخذ منظومتين رمزيتين للتدليل الصورة واللغة. ومثلما وظفت اللغة الرمز لمعان لا عدد لها، كذلك استخدمت الصورة الرمز لتكثيف الدلالة وإلغفاء جمالية. ولهذا توجه البحث بدراسة الصورة المرافقة لقصة البركان الموجهة للأطفال بغية تبيان الرمزية الدينية وتمثلاتها في القصة. يصبو هذا البحث إلى تقديم قراءة تحليلية للصورة من منظور أنثروبولوجي، بغية إبراز مظهرات الرمز الديني في الفن التشكيلي والصورة المرافقة للقصص الطفل خصوصا، هذا باعتبارها نصا بصريا حاملا لدلالات متعددة، ومن معمارها الفني يجد المتلقي منفذا للولوج إلى مضامينها، كما يصبو إلى الكشف عن جوانب الصورة المتعددة ومناهج وآليات تحليلها. وكيف يستثمر مكتسباته في فك رموزها وتحليل شفراتها، وما هي الجوانب التي تنفتح عنها.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجية الدينية، الصورة، الرمز، دلالات، العدد سبعة، قصص الأطفال.

1 المؤلف المرسل، بن يمينه خودة، khaoudamoni@gmail.com

Abstract:

The religious anthropology studies the religious phenomenon and its reflection on the society considering the symbol as an important basis that reflects the psyche and the doctrine of the human. These religious symbols can be embodied in the fine arts, which are characterized by a particularity of their use of symbols, that made them one of the important topics of the religious anthropology, especially as they have dominated the means of communication and spread into different fields especially children's literature. This novel art that takes two symbolic systems for indication - the image and the language- such as the language employed the symbol for a number less meanings, so it used the symbol to intensify the significance and import an aesthetic. For this reason, the research orient to study the accompanying image of the volcano story directed for children in order to show the religious symbolism.

This research also aims to present an analytical reading of the image from an anthropological perspective, in order to show the demonstrations of the religious symbol in the fine art and the accompanying image of the child's story in particular. Considering that the image is a visual text carrying multiple meanings and form its artistic architecture the receiver finds an outlet to access its contents as well as to reveal the multiple aspects of the image and the methods and mechanisms of its analysis, and how to invest his earnings in deciphering and analyzing its codes. And what are the aspects that open from them.

Keywords anthropology; image; symbol; meanings; number seven; children story.

مقدمة:

تختلف العلامة اللغوية عن العلامة التشكيلية، وتبقى الصورة من الأنساق الدالة، فقد أضحت وسيلة تواصل يسهل التعامل بها، وحتى التفكير يكون بالصور الذهنية المختزنة، ولهذا دأب اللسانيون والسيميائيون والأنثروبولوجيون على تدارسها، والبحث في تأليفها وطبيعتها ونظامها، وتسعى هذه الدراسة الاقتراب من مفهوم الصورة، وكيف تجلّي التعامل مع الصورة في نطاق الأبحاث الأنثروبولوجية واللسانية المختلفة، وكيف تمّ توظيف الرمز الديني في الصور المرافقة لقصص الطفل، وكيف تبنى هذه الصور لتستجلي عناصر القصة وتكشف عن معارف دقيقة للبنية الاجتماعية والنفسية والسلوكية لهذه الفئة الهامة

من المجتمع، والتي تنعكس في أحوالها الشخصية والمعيشية، بما في ذلك من طقوس دينية وعادات وتقاليد، وأساليب تعاملية بين أفراد المجتمع .

أولاً: الصورة وآليات تحليلها

1 _ مفهوم الصورة:

بداية، تجب الإشارة إلى أن الصورة مصطلح أثار جدلاً كبيراً لتعدد أنواعها، ولتشعب استخداماتها في مجالات عديدة، واتساعها لتعبّر عن كثير من جوانب الإبداع الإنساني ، ومن التعريفات الاصطلاحية: "صوره تصوّيراً فتصور، وتَصَوَّرْتُ الشيءَ توهمْتُ صورته فتَصَوَّر لي. والتصاوِيرُ التماثيلُ." (الرازي محمد بن ابي بكر، د.س.ن، ص173). ويقابلها في المعاجم الغربية كلمة "image" وهي رديف "الصورة، رسم، تمثال، أيقونة، انعكاسة" (. F.S.Alwan, G.L.Simon, M.Said, 2004, p 432)، فالصورة هي كل ما له علاقة بالشكل والهيئة، سواء كان مرئياً أو متخيلاً.

وعليه، أخذت الصورة أبعاداً مختلفة في ظل التعريف اللغوي؛ ما بين رسم وتمثال، وانعكاس، وتبقى في العموم مرتبطة بما هو حسي سواء كان مادياً أو ذهنياً. أما الصورة في أدب الطفل هي من الفنون التشكيلية، وهي تعني "المقدرة على تمثيل الأشياء بأشكال طريفة مبتكرة، وهذا التمثيل الرمزي أو الواقعي" (عفيف البهنسي، ص134).

إن الصورة هي التنظيم الخاص للأفكار وفقاً للإمكانات الخط واللون على سطح ذي بعدين، أو هي التعبير عن الأفكار والانفعالات من خلال إبداع بعض الخصائص الجمالية المحددة بواسطة لغة بصرية ثنائية البعد (فاطمة يوسف، 2011، ص20)، فالصورة هي فكرة تبلورت إلى شكل محسوس وملمس.

2 _ الآليات اللسانية في تحليل الصورة:

لقد وظفت الأنثروبولوجية العديد من المعارف والعلوم للوصول إلى نتائج دقيقة (كلود ليفي ستراوس، 1977، ص74) من بينها اللسانيات التي "أضحت قطب الرحى في التفكير الإنساني الحديث من حيث بلورة المناهج والممارسات وأصبحت بذلك مفتاح كل حادثة" (عبدالسلام المسدي، 1986، ص11). فصفة العلمية هي أولى المقومات التي جعلت منها تحتل صدارة العلوم الإنسانية، وبهذا تجاوزت اللغة لتبحث في منظومات أخرى، وكانت الصورة أحد المواضيع التي اجتاحتها اللسانيات

والمناهج المنبثقة عنها كالمناهج السيميولوجي والسميائي، ولعل أهم المبادئ والآليات اللسانية المعتمدة في تحليل الصورة هي:

2_1_ التفكيك: تنتمي العلامات البصرية _الرسومات_ التي نحن بصدد دراستها وتحليلها إلى العلامات التشكيلية عموماً وهي قابلة للوصف حسب ثلاثة معايير وهي: النسج، الشكل واللون (جان ماري كلينكنبرغ، 2015، ص363). "فالعلامة التشكيلية توظف منظومات تعتمد على الخطوط والألوان والأنسجة المأخوذة مستقلة عن إحالة محاكية ما" (جان ماري كلينكنبرغ، 2015، ص362) وبهذا العلامة التشكيلية قابلة للتفكيك إلى خطوط وألوان وأشكال وتعطي هذه العناصر دلالات مختلفة.

ولقراءة الصورة نأخذ في الاعتبار "أن الرسالة البصرية تستند، من أجل إنتاج معانيها، إلى المعطيات التي يوفرها التمثيل الأيقوني كإنتاج بصري لموجودات طبيعية تامة (وجوه، أجسام، حيوانات، أشياء من الطبيعة....)، وتستند من جهة ثانية إلى معطيات من طبيعة أخرى، أي إلى عناصر ليست لا من الطبيعة ولا من الكائنات التي تؤثت هذه الطبيعة، ويتعلق الأمر بما يطلق عليه التمثيل التشكيلي للحالات الإنسانية، أي العلامة التشكيلية: الأشكال والخطوط و الألوان والتركيب" (قدور عبدالله ثاني، ص35، 34).

التفكيك هو آلية لسانية، وخطوة مهمة لا بد منها، يتم من خلالها تفكيك مكونات الصورة؛ والنظر إليها كل على حدى وتقصى دلالاتها، ثم التركيب بينها لأن قراءة الصورة هي تجاوز المستوى السطحي للولوج إلى المستوى العميق.

2_2_ الاختلاف: وهو مبدأ قائم بين الوحدات اللغوية على مستوى الجملة أو الكلمة نفسها، حيث يعمل على إبراز الفوارق والاختلافات ما يعطي العلامة قيمتها (الطيب دبة، د.س.ن، ص85)، وهو من المرتكزات الأساسية في قراءة الصورة فيمكننا التمييز بين مختلف الأشكال والخطوط والألوان التي تمثل بنية العمل الفني، ومكمن الاختلاف بينها يعطي الصورة قيمة ودلالة.

2_3_ الرمز: إنّ الرمز من وسائل التعبير التي يستعملها الفنان أو الأديب فتعني عملهما الفني لما له من مقدرة على التأثير وتكثيف الدلالات. فالرمز في معناه اللغوي هو: "تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم اللفظ، من غير إبانة بصوت" (ابن منظور، د.س.ن، ص356)، وهو إظهار ما خفي، وفيه تستر، أي التعبير عن المعنى المراد بطريقة يلفها التستر والغموض.

أما في الاصطلاح " ما هو إلا دلالة على فكرة الفنان، وما تحمله من مدلول يفهمه المتلقي للموضوع." (طارق عابدين، 2012، ص 110)

ووظيفة الرمز هي "استثارة بعض حالات الوعي؛ لذلك فالرموز نوعان عقلية وهي مختصة بإثارة الخيالات والأفكار وأخرى انفعالية ترمي إلى إثارة الانفعالات" (سعيد درويش وآخرون، 2013، ص 661) يرى البعض أن الفن رمز والعمل الفني صورة رمزية، وهو ليس إعادة للواقع وإنما تعيد إنشائه وتمثله بأسلوب خاص (بسمه منصور، 2015) وهو "أداة توصيل الانفعال والمعنى إلى المتلقي،.. والتشخيص والرمز هما الطريق الأمثل لنقل المعاني والأفكار إلى المتلقي" (مختار العطار، 2000، ص 39)، فحضور الرمز في العمل الفني ضرورة لا مفر منها، فهو الوسيلة المثلى لتبليغ الأفكار لا سيما إذا كانت محصورة، كما يضيف للصورة دلالات ويعطيها بعدا جماليا. وقد تعدد هذه الرموز فمنها الدينية والاجتماعية والحيوانية والعديد... إلخ.

إن الآليات اللسانية السابقة يمكنها أن تستثمر في تحليل الصورة وقراءتها، كما تعتمد في التحليل الأنثروبولوجي، فقد وظف ليفي ستراوس " Claude Levi Strauss " العديد من المفاهيم اللسانية في تحليلاته كالثنائيات (كلود ليفي ستراوس، 1977، ص 178)، فأورد التنظيم الثنائي في علاقة الزواج، وتميز المجتمعات وغيرها، وهذه الثنائية تتميز بتناقضات أو ما يسمى بالاختلاف بين الوحدات المكونة للنسق، وغيرها من الآليات اللسانية التي كان يدعو على توظيفها.

2_4_ الرموز الدينية:

يعود تعريف ماهية الدين، في بادئ الأمر، إلى اعتبار أن الحركة الاجتماعية تعود على وجود مواكب ومتفاعل لـ " المعتقدات " _ بالقوى فوق الطبيعية، أو القوى الخارقة أو الألوهية الواحدة أو مجموعة من الآلهة (بيلر بونت وآخرون، 2011، ص 486) لهذا تسعى الأنثروبولوجية الدينية إلى ملاحقة المعتقدات السائدة في المجتمعات البدائية والنظر فيها، وهي تبعد كلية عن مقابلة بين الأديان، " لكن الدراسات بدأت تنتقل وتتحول من سعي لفهم كيف كان البدائي يفسر عالمه إلى التأسيس لوعي وفكر يعمل على تفسير ما تحول إليه فكر ووعي الإنسان بما يقوم به من خلال الدين؛ فهو يخلق عالمه الديني من خلال تمركه " (مراد حرز الله، 2017، ص 94)، فهي تحاول الوصول إلى المفاهيم الدينية دون اعتماد القوى الخارقة أو الفوق

طبيعية، وتهدف إلى فهم أمثل للظواهر الدينية، واستبعاد الأفكار المشوهة للمفاهيم والعقائد. وهي تنظر في مختلف الأشكال والرسومات، والطقوس المختلفة، واللباس، والطابع العمراني...إلخ.

تدرس الأنثروبولوجية الدينية الظاهرة الدينية دراسة بنائية وظيفية وثقافية في علاقتها العضوية المتشابكة بالظواهر الاجتماعية، والانساق البنائية، والسمات الثقافية، فهي لا تدرس الدين من حيث جوهره، وإنما من حيث أنماطه وظواهره العامة التي تتجلى في السلوك الديني الذي يشمل العادات والتقاليد والشعائر، والمناسك، والطقوس. (زلاقي وهيبه، 2020، ص517)

تحتل الرموز الدينية أهمية بالغة في مختلف المجتمعات، ولطالما وجدت رموز تقديس ديانة بعينها، والرموز الدينية تستخدم للتعبير غير المباشر عن الأفكار والمعتقدات الدينية، و"ينظر للأنظمة الرمزية في بعدها التعبيري أو الفكري، وتنسب إلى مقتضيات التواصل أو المعرفة، أما في الحالة الثانية فينظر إلى الأنظمة الرمزية في بعدها الأدواني وترتبط بأنماط التنظيم والسيطرة. (بيلر بونت وآخرون، 2011، ص504)، يوظف الانثروبولوجي الرموز كأدوات لتنظيم العلوم والوصول لفهم أمثل للدين.

إن الرموز الدينية متعددة، وتختلف باختلاف الديانات، وهي علامات مميزة، فتجد في المسيحية رمز الصليب والنجمة الخماسية، والمسيحة الوردية، وسمكة المسيح، ومن بين الرموز التي ترتبط بالدين الاسلامي الهلال، ولفظة "الله"، والنجمة اللصيقة بالهلال، وبداية الحزب (☪️)، وموضع السجدة في القرآن الكريم (﴿﴾)، ولليهودية أيضا رموز تتعلق بما كنجم داوود السداسية وهي عبارة على مثلثين متساويا السيقان _ منعكسين.

ثانيا: قصة "البركان" قراءة لسانية انثروبولوجية

القصة في أدب الطفل "لون قرائي في متعدد المضامين، يكتبها الكبار للصغار، وتشمل عناصر بناء القصة عند الكبار مثل: الحدث، الشخصية، البيئة المكانية والزمانية، السرد القصصي والأسلوبي، العقدة الفنية، الانفراج (الحل)، الهدف، ويراعي كات*ب القصة تبسيط تلك العناصر لتناسب المراحل والخصائص العمرية النمائية عند الأطفال، وقد راعاهم في الاستيعاب والتلقي (أحمد الزلط، 1998، ص164). وللصورة في أدب الطفل بالغ الأثر. ويمكن لهذه العناصر أن تبرز من خلالها.

إن قصة "البركان" لسعاد صالح هي قصة علمية من أدب الأطفال، تسعى إلى إيصال جملة من المعارف في شكل مشوق، فهي تجمع ما بين المغامرة وحب الاكتشاف. وفي القصة يذهب الأبطال الصغار

إلى رحلة مدرسية تعليمية رفقة معلمتهم إلى جزيرة "نونا" البركانية، ليكتشفوا أنواع البراكين وأشكالها وأسباب حدوثها ومكوناتها، كما تعرفوا على الينابيع الحارة والفورات التي تكون في المناطق البركانية عموماً. ولقد تضمنت القصة مجموعة كبيرة من الصور حتى أنها فاقت حضور النصوص المكتوبة.

1 الرمز الديني وحضوره في الصورة المرافقة لقصة "البركان"

يشير بارت إلى أن قراءة الصورة "مرتبطة بالمعارف المستثمرة في الصورة: معارف لغوية، أنثروبولوجية، تجريبية، جمالية... ويفترض وجوداً ضمنياً داخل مجموعة لغوية وثقافية معينة. إن هذه المضامين الثقافية لتأويل الصورة الفتوغرافية مضامين تاريخية وتتطور مع تطور المجتمع الذي أنتج الصورة أو يستقبلها" (قدور عبدالله ثاني، ص 32، 33)، تعتبر الصورة بنية دالة يمكن استثمارها في البحوث الأنثروبولوجية وتترتبط قراءتها بمبدأ التاريخانية الذي يجعل للصورة قيمة وقراءة متغيرة بتغير زمن قراءتها لإختلاف المعطيات والمفاهيم التي تميز كل عصر عن غيره، وبهذا تعتبر الصورة وسيلة يمكن لعالم الأنثروبولوجيا إعتماؤها في بحوثه وذلك لما لها من حضور ديني وعقائدي وفكري.

زاوجت قصة "البركان" لسعاد صالح بين النص والصورة في بنائها، من بين الصور التي تثير فضول المتلقي هي صورة الواجهة (ينظر آخر البحث ص 1)، اشتملت الصورة على الشخصيات الرئيسية الثلاث للقصة - صهيب، ورجاء وصديقهم الآلي إلكترون - وهم يركضون وخلفهم انفجارات بركانية وتصاعد للحمم جاءت باللون الأحمر، وكتب في أعلى الصورة عنوان القصة بتقنية البوزيتيف؛ الذي يكون بكتابة بعض الكلمات بالخط الأبيض على الأرضية السوداء أو العكس (أحمد نجيب، 1990، ص 217)، إذ كتب العنوان باللون الأحمر يعلوه الأصفر ليظهر كالحمم البركانية المتطايرة من الفوهة، وأسفله طفل لُون شعره بالأحمر مرتدياً قميصاً يحمل الرقم سبعة، ولون بالأحمر أيضاً، فهذا الرقم لم يوضع اعتباطاً، لاسيما وإن له حمولة دينية، وقدسته الشعوب القديمة، وتجده في مختلف الطقوس والعادات.

1_1_ الرمز الديني للعدد سبعة في الاسلام:

تعددت مدلولات العدد سبعة، وكان له حضور بارز في كل الديانات السماوية لاسيما الدين الاسلامي "إذ نجد أن الله تعالى قد فضل "الرقم سبعة" على سائر الأرقام، وأعطى هذا الرقم أهمية خاصة في كتابه المجيد" (عبد الدائم الكحيل، 2006، ص 66)، فتم تكرار ذكر العدد سبعة في العديد من الآيات، ففاتحة الكتاب سميت بالثاني السبع، وعدد آياتها سبعة. "وكثيرة هي الأحاديث التي نطق بها سيد البشر

محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان للعدد سبعة حظ وافر فيها، وهذا يدل على أهمية هذا العدد وكثرة دلالاته وأسراره (عبد الدائم الكحيل، 2006، ص 67)، إن العدد سبعة ومضاعفاته يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بإعجاز القرآن الكريم، إذ لاشك من ذلك لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء، 88) ومن بينها الإعجاز العددي، وقد أورد عبد الدائم بعض التمثيلات للإعجاز العددي للرقم سبعة في القرآن الكريم (عبد الدائم الكحيل، 2006، ص 96، 81)، ولعل أهمها ذلك الاحكام العجيب والمتناسق الذي يربط أول القرآن بأواخره.

وللعدد سبعة حظ وافر من مناسك الحج، فالطواف بنوعيه سبعة، والسعي بين الصفا والمروة سبع، ورمي الحجرات سبع، فهي عبادة سبوعية بامتياز، وجاء ذكر العديد من القصص التي اشتملت الرقم سبعة أو مضاعفاته كرويا الملك في قصة سيدنا يوسف، وسبعون رجلا في قصة سيدنا موسى، وغيرها.

1_2_ الرمزية الدينية للعدد سبعة في المسيحية: تكرر ذكر العدد سبعة في الكثير من القصص التي ذكرت بالأسفار _ قصة نوح، البقرات السبع، كما يشير الرقم سبعة في المسيحية إلى الانسان الكامل إذا اتحد مع الله ولم ينفصل عنه (الرموز في الكتاب المقدس والأيقونة القبطية، ص 6)، وهناك الأسرار السبعة المقدسة، كما يرتبط الرقم سبعة بالشمعدان اليهودي "المنواره" رمزا من الرموز القومية والدينية المقدسة وهو عبارة عن درع مجزأ إلى سبعة فروع حاملة للشموع، وتجذب بعض الطقوس الدينية التي تتكرر سبع مرات كاحتفال باليوم السابع للعبادة، وأعياد الفطير، ورش الدم يوم الكفارة (محمد عبدالرحمن، 2019). والطقوس الدينية المرتبطة بهذا العدد تجدها في كل الديانات والأعراف.

1_3_ الرمزية الكونية للعدد سبعة: لقد ارتبط خلق السموات والأرض بالعدد سبعة، فخلقها الله عز وجل بسبعة طبقات، كما جاء في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق، 12) وجاء في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (الملك، 3) فعدد السموات والأرض سبع، وعدد أبواب النار كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحجر، 44)، والعدد سبعة هو عدد أيام الأسبوع، وعدد مدارات الذرة، وعدد ألوان الطيف. (عبد الدائم الكحيل، 2006، ص 66)

1_4_رمزية العدد سبعة في قصة البركان: من خلال ربط العدد سبعة ودلالاته المختلفة يمكن قراءته في الصورة بربطه برمزيته الكونية؛ لاسيما وأن عدد طبقات الأرض وعدد أبواب جهنم كما أشرنا هو سبعة؛ فهنا إشارة واضحة إلى أن مصدر البركان هو باطن الأرض لاسيما وأنها لونت باللون الأحمر للإشارة إلى لون الحمم وللدلالة على أنه الشر القادم من باطن الأرض، وكأنه يفتح أبواب جهنم السبعة على كل ما يحيط به من انسان وحيوان ونبات، فالبركان كظاهرة طبيعية غالبا ما تخلف الدمار وتتسبب في خسائر مادية وبشرية، وينشر الرعب والهلع، فالمبدع حاول من خلال الصورة أن يصور طبيعة البركان المادية ، والهالة النفسية التي تحيط به، فوظف الرقم سبعة بحمولته الدينية والثقافية ليبعث بدلالات موحية ومعبرة عن تلك الهالة المحيطة بالبركان كظاهرة طبيعية و نفسية.

2_ اللغة قراءة انتروبولوجية:

لقد جرت العادة أن تقوم الأبحاث الأنثروبولوجية الميدانية على الشعوب البدائية التي تعيش خارج التيار التاريخي للثقافة الأورو - أمريكية، أو الثقافات الأخرى المتحضرة التي تعرف الكتابة، وذلك بغية المقارنة وإيجاد أوجه التشابه والاختلاف في السياقات التاريخية التطورية للثقافات الإنسانية المختلفة (عيسى الشماس، 2004، 130)، لكن في هذه الدراسة سنقوم بمقارنة بين مرحلتين مختلفتين لطفولة؛ حيث سنميز التغيرات الحاصلة بين طفل القرن الماضي وطفل الواحد وعشرين، ونقف على أوجه الشبه والاختلاف، وذلك من خلال استنطاق اللغة والصور المرافقة لـ "قصة الراكين لسعاد صالح"؛ وبذلك تصبح اللغة والصورة وسيلتين وأداتين مهمتين للحصول على البيانات؛ فهي من الشواهد الواقعية والهامة في إجراء مثل هذه المقارنات.

2_1_الصدقة:

الصدقة من العناصر التي يمكن تحليلها لفهم سلوك الطفل وبيان علاقته مع العناصر الأخرى، فلطالما اختلف مفهوم الصديق باختلاف الصديق نفسه؛ فقد اتخذ الصديق أشكالا مختلفة عبر العصور، من صدقة إنسان، إلى صدقة كتاب أو حيوان، ليتغير ويصبح الصديق عبارة عن إنسان آلي في عصرنا الحالي.

من خلال الصور التي عرضت في كامل القصة بداية من الواجهة؛ يمكن تميز الصديق الذي يرافق الأطفال خلال الرحلة وفي حياتهم اليومية، فلم يكن بشرا ولا حيوانا ولا كتابا، كان إنسانا آليا، وفي حقيقة الأمر لقد أصبحت رفقة الأجهزة الآلية ظاهرة بارزة في المجتمع ككل لاسيما الأطفال الذين امتنعوا عن

الاحتكاك بالأهل والأصدقاء ليجالسوا أجهزتهم الالكترونية، وبذلك امتنعوا عن اختبار الحياة، ويعايشون علما افتراضيا.

وردت حوارات قليلة على لسان الإنسان الآلي "إلكترون" وعددها تسعة جمل في مواقف مختلفة، وهي مرتبة كالتالي: بركان بركان! (سعاد صالح، 2014، ص7)، لننزل! لننزل! (سعاد صالح، 2014، ص8)، حمم بركانية! حمم بركانية! (سعاد صالح، 2014، ص9)، بخار! بخار! غير جيد! غير جيد! (سعاد صالح، 2014، ص10) نافورة بخارية! نافورة بخارية! حمام! حمام! (سعاد صالح، 2014، ص11) صحراء! صحراء! (سعاد صالح، 2014، ص13) غابة! غابة! (سعاد صالح، 2014، ص14) نار! نار! (سعاد صالح، 2014، ص15).

فرغم حضور الإنسان الآلي في كل صفحة إلا أن حضوره كان محتشما لا يشكل فرقا في بناء القصة ولا يؤثر بأي شكل من الأشكال على البنية القصصية، ولا تفكير أصدقائه من بني البشر، ويبقى مجرد راصد للمعلومات. فمعظم الجمل التي جاءت على لسان إلكترون _ الإنسان الآلي _ هي مجموعة من الأسماء، وذكر فعل واحد لا غير، فانعدام وجود الأفعال يبرر عدم تمكن الصديق الآلي من توجيه مجريات الأحداث وتغييرها.

2_2_ الرحلة كوسيلة تعليمية تعليمية:

تطور مفهوم الوسائل التعليمية واتسع، وأصبحت الرحلات من أهم الوسائل التعليمية لاسيما في مناهج الجيل الثاني، فهي مصدر مهم للمعلومات، وطفا هذا المفهوم على سطح القصة، من خلال الرحلة التي برمجتها المدرسة إلى جزيرة نونا" (سعاد صالح، 2014، ص5)، التي كان الهدف منها التعريف بالبراكين وأنواعها ومكوناتها وأسبابها وأثارها.

2_3_ علاقة الأطفال بالأهل:

لا تزال علاقة الأطفال بالأهل ثابتة، ويبقى الطفل مقربا من الأجداد والجدة، ولا تزال الحكايات التي ترويها الجدات محبوبة لدى الأطفال، وظل سرد الحكايات لعبة تتقنها الجدات، لكن الالاف في العصر الحالي أن سرد الحكايات المشوقة للأطفال ليس حكرا على الجدات، فالصورة تبرز لنا الجد وقد اجتمع حوله الأحفاد وصديقه الآلي ليروي لهم قصة الجزيرة "نونا" (سعاد صالح، 2014، ص3)، وهو وجه آخر للرجل في المجتمع، فالتربية لم تعد قصرا على الأم أو الأب ولكن هي عمل يتشاركه جميع أفراد العائلة، كما أن

المكان لم يقتصر على البيت وإنما حول موقد من النيران خارج البيت، فالببت لم يعد المكان الوحيد الذي تجتمع فيه العائلات، وصارت تجتمع في الحدائق العامة، والغابات والمنتزهات.

خاتمة:

لقد تعرضت الدراسة إلى أسئلة جوهرية حول الصورة باعتبارها نسق ثقافي واجتماعي وديني متغير عبر الزمن، فالصورة من أهم الانساق التواصلية الدالة، ولها أهمية بالغة، فهي ناقلة للمعارف وقادرة على تنمية الخبرات، ومن أهم سماتها أنها مكثفة الدلالة ولها من الامكانيات ما يجعلها قادرة على اختزال النصوص، كما لها بعد جمالي وتأثيري في نفسية المتلقي لاسيما الطفل الصغير، إذ تشد انتباهه للقصة وتولد لديه رغبة المطالعة.

تعتبر الصور إحدى الأنظمة التواصلية التي يمكن استغلالها في استيفاء المعلومة الأنثروبولوجية حيث توفر عبر فعلها الترميزي منطلقاً للترميزات الثقافية المتعددة. وتتخذ من الرمز سبيلاً لتبليغ رسالتها. توظف الرموز في غالب الأحيان إما للتستر أو لإضافة جمالية للعمل الفني، لكن توظيف العدد سبعة في قصة البركان وظف لإيصال فكرة بطريقة موهلة التعقيد، ولتفنيد فكرة بأسلوب أكثر جمالية. لقد كان للعدد سبعة نصيب في كل الديانات السماوية، وارتبط بنشأة الكون وتكوينه، واستعمل في الكثير من الطقوس السائدة في أغلبية المجتمعات وذلك لارتباطه بالديانات السماوية. إن قراءة الصورة وفهمها يختلف من شخص لآخر ومن مجتمع لآخر، وتتغير بتغير خبرة المتلقي ومكتسباته الثقافية والعلمية وآلياته المنهجية في التحليل، هذا ما يستدعي تظافر العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية والشرعية في إنتاجها وتأويلها.

تفاعل مكونات الصورة وتوظيف الرمز يكسب الصورة جمالية، ويحملها غموضاً كبيراً ودلالات أكبر، فبات من الضروري الاهتمام بتقديمها والارتقاء بها لا سيما في مجال أدب الطفل. المعرفة اللسانية ومناهج تحليلها يمكن استثمارها في البحوث الأنثروبولوجية وفي قراءة الصورة لما لها من قدرة على وصف البنى والوصول إلى حقيقة المعاني الرمزية، واستنباط جميع القيم والأنظمة الدينية والاجتماعية والفكرية المختلفة.



* سعاد صالححي هي أديبة جزائرية، اقتصت بالكتابة للأطفال، ولها عدة مؤلفات نشرت معظمها المكتبة الخضراء، ونذكر منها: سلسلة القصص العلمية التي تضم " جسم الانسان، القوة والحركة، الطاقة، الكهرباء والمغناطيس، الطقس، السوائل والغازات والأجسام الصلبة، تقليص وإعادة استعمال، والبراكين" ولها أيضا سلسلة "حكايات للأطفال قبل النوم، وتتكون من جزأين يضم كل جزء ثمان قصص مختلفة منها: الأرنب المغرور، الأم الحكيمة، الخطاب الصادق، فأر المدينة وفأر القرية، الأصدقاء الثلاثة،... وغيرها.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم، رواية ورش
- أحمد زلط، أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، دار هبة النيل للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998.
- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990.
- بيلر بونت، ميشال إيزار وآخرون، معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2011.
- جان ماري كلينكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، تر: جمال بلحضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2015.
- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، مادة صور.
- سعاد صالح، البراكين، المكتبة الخضراء للطباعة والنشر والتوزيع، الشارقة، الجزائر، 2014.
- الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنوية (دراسة تحليلية ابستمولوجية)، دار القصة للنشر، الجزائر، 2001.
- عبد الدائم الكحيل، إشراقات الرقم سبعة في القرآن الكريم، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 2006.
- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة الغربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986.
- عفيف البهنسي النقد الفني وقراءة الصورة، دار الوليد، الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 1997، د.ط.
- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الانسان (الانثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004.
- قدور عبدالله، سيميائية الصورة، مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005.

- كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، سوريا، 1977.
- مختار العطار، آفاق الفن التشكيلي على مشارف القرن الواحد والعشرين، دار الشروق القاهرة، ط1، 2000.
- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط3، مج5، باب الزاي، فصل الراء.

المجلات العلمية:

- سعيد درويش، عبدالله السيد، محمد محفل، الرمز والرمزية في الفن التشكيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، مج29، ع1، 2013.
- فاطمة يوسف الخصاونة، دراسة مقالات النقد التشكيلي الأردني التي نشرت في مجلة أفكار الأردنية بين عامي 2000_2010، مجلة الأردن للفنون، مجلد4، ع1، 2011.
- طارق عابدين ابراهيم عبد الوهاب، قراءة الصورة التشكيلية بين الحقيقة والإيحاء، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، العدد1، 2012.
- مراد حرز الله، واقع الأنثروبولوجيا الدينية في الوطن العربي، مجلة التغيير الاجتماعي، ع4، 2017.
- وهيبه زلاقي، قراءة سوسيولوجية لدور علم الاجتماع الديني والانثروبولوجيا الاجتماعية في فهم سلوك الفرد والمجتمع، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج16، العدد1، 2020.

مواقع الأنترنت:

- بسمة منصور، الرموز التراثية في المنسوجة الفنية، الهام في وبحث تشكيلي تجرية على ناصف الطرابلسي نموذجاً <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=463374&r=0>
- محمد عبد الرحمن، دلائل الأرقام المقدسة، رمزية الأعداد عند الديانات السماوية، 2019. <https://www.youm7.com/story/2019/6/17/%D8%AF%D9%84%D8%A7%D>

كتب باللغات الأجنبية:

- _Le dictionnaire Français - Arabe, dictionnaire général ,linguistique technique et scientifique, F.S.Alwan, G.L.Simon, M.Said, DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH, Beyrouth, Liban, 2ed, 2004.